فيصل درَّاج بين الفكر والنَّقد

نضال الشَّمالي*

أوَّلًا: سيرته

ولد النَّاقد والمفكِّر الفلسطينيُّ الدُّكتور فيصل درَّاج في قرية الجاعونة الفلسطينيَّة الواقعة في منطقة الجليل في عام 1943، إلَّا أنَّ إقامته في مسقط رأسه لم تدم طويلًا، فهاجر مع عائلته عام 1948 إلى جنوب لبنان بسبب الاحتلال الصُّهيوني، وأقام فترة في قرية "الخيام"، ثمَّ غادرها إلى قرية "جويزة" السُّورية في منطقة الجولان. وفي مطلع الخمسينيَّات استقرَّ مع عائلته في مدينة دمشق فأكمل هناك دراسته الابتدائيَّة والثَّانويَّة والجامعيَّة.

تخرَّج فيصل درَّاج في جامعة دمشق من كلِّيَّة الآداب، قسم الفلسفة، عام 1968، ثمَّ سافر إلى فرنسا ودرس الدُّكتوراه في جامعة تولوز عام 1974، وحصل فيها على درجة الدُّكتوراه في الفلسفة (الحلقة الثَّالثة) عن أطروحة عنوانها "الاغتراب الدِّيني في فلسفة كارل ماركس"، وفي عام 1975 أقام في بيروت حتَّى الحصار الإسرائيلي لها عام 1982 وخروج المقاومة الفلسطينيَّة منها، ولعلَّ تجربته في فرنسا وبيروت جعلته أقدر على فهم ما ظنَّ أنَّه فهمه أيَّام الدِّراسة، فاقترابه من العمل السِّياسيِّ اليوميِّ أزاح عن المفاهيم النَّظريَّة الكثير من الغبار والضَّباب. فاهتمَّ بمقولات الاغتراب وعصر النَّهضة العربيِّ وتاريخ الأحزاب الشُّيوعيَّة في الوطن العربي.

ويبدو أنَّ درَّاج تعلَّم الكثير في ارتحالاته المتعاقبة، ففي سوريَّا عايش تجربة اللَّاجئ الَّذي كان يرى في الانتظار نهاية وفي العودة الأكيدة بداية، لكنَّ المقام طال فالتحق بمدارس دمشق واكتسب اللَّهجة الدِّمشقيَّة وعادات المدينة، فما كان منه إلَّا أن اندرج في مناخ ثقافيٍّ سياسيٍّ يؤلِّف بين الثَّقافة والنَّقد، فدرس في جامعة دمشق على

* باحث ومحاضر- جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن.

يد أساتذة كبار أمثال عبد الكريم اليافي، وبديع كسل، وعادل العوّام، وهٰذا ما قاده إلى الاهتمام بالثَّقافة وآفاقها.

وفي فرنسا، اكتشف درّاج الفلسفة على أصولها فأنجز رسالة الماجستير عن الاغتراب والاغتراب الِّديني بين ماركس وهيجل، وأقام في تولوز سنتين، وأربعًا أخرى في باريس إلى أن أنهى دراسته. يقول درّاج في هٰذا الصَّدد: "واقع الأمر أنِّي لم أستفد من إقامتي في فرنسا في الموضوع الفلسفيِّ الَّذي كنت أدرسه فقط. لٰكنَّها أمَّنت لي مناخًا ثقافيًّا خصبًا وجميلًا وممتعًا، فأدمنت الذهاب إلى السِّينما والمتاحف وقراءة الصُّحف بشكل يوميٍّ، ولٰكن أكثر من هٰذا وذاك تعلَّمت القيم الجميلة (معنى الصَّداقة وتواضع الأستاذ العارف للعمل الثَّقافي الجماعي وتضامن المثقَّفين الفرنسيِّين مع قضايا الشُّعوب المضطهدة، بالإضافة إلى مناخ الكوزموبولت لأنِّي كنت ألتقي الطُّلاب من أوروبَّا وأمريكا الشَّمالية"[1].

وفي بيروت عمل درّاج في مركز الأبحاث الفلسطيني المسؤول عن إصدار مجلَّة "شؤون فلسطينيَّة" معايشًا تجربة الحرب الأهليَّة وخروج الفلسطينيّين من بيروت واحتلال الجيش الإسرائيلي للعاصمة. بعد ذٰلك تنوَّعت ارتحالات درَّاج ما بين ميلانو في إيطاليا وبوخارست وهنغاريا، إلَّا أنَّه في عام 1986 آثر العودة إلى دمشق وفيها أسَّس دوريَّة "قضايا وشهادات" برفقة عبد الرَّحمٰن منيف وسعدالله ونُّوس وجابر عصفور (1989-1992)، وظهر منها سبعة مجلَّدات. كما أنَّه درَّس في المعهد العالي للفنون المسرحيَّة في دمشق وخمس سنوات في المركز العربي للدِّراسات الاستراتيجيَّة. واليوم يقيم بين عمَّان ودمشق. شارك إحسان عبَّاس وداود القاضي في إصدار سلسلة "حصاد الفكر العربي"(1977-1982) عن مؤسَّسة ناصر للثَّقافة في بيروت. كما عمل مديرًا لقسم الأبحاث والدِّراسات في المركز العربي للدِّراسات الاستراتيجيَّة

[1] -حسناء الجريسي: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج: الأهرام الرَّقمي (تاريخ الزِّيارة 2014/3/22): http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=180918&eid=215

(1996-2002) في دمشق. وعمل أستاذًا في المعهد العالي للدِّراسات المسرحيَّة في جامعة دمشق (1997-1999).

كما أشرف بالتَّعاون مع جمال باروت على إصدار مصائر الحزب السِّياسي في العالم العربي (6 مجلَّدات) بين عامي (2000-2006). كما أشرف على ترجمة كتاب "بؤس العالم" لبيير بورديو في ثلاثة أجزاء، كما ترجم كتاب كلود لوفور "التَّعقيد" عام 2007. وأشرف على إصدار سلسلة بعنوان "مرايا الفكر المعاصر" عن دار كنعان- دمشق، ظهر منها عدَّة مجلَّدات. وأسهم أيضًا في الجزء الأوَّل من كتاب "تاريخ الأدب العربي الحديث" الصَّادر عن جامعة باريس 2007.

تقول ماجدة حمُّود[1] "ويبدو أنَّ التَّجربة الجامعيَّة في فرنسا قد خلقت لدى د. فيصل درَّاج وهم الوحدة التَّاريخيَّة بين النَّظريَة العلميَّة والطَّبقة العاملة، وإذا كانت تجربته في بيروت جعلته يرى ساحة الانزياح بين الشِّعار والممارسة فإنَّ الخروج من بيروت في عام 1982، وحصار المقاومة الفلسطينيَّة الَّذي لا ينتهي، حذف من ذاكرته نهائيًّا مفهوم اليقين، فبدا الواقع حرًّا وجديدًا وبدت النَّظريَّة محدودة، وجاء زمن الأسئلة الكثيرة بعد أن ولَّى زمن الإجابات الجاهزة".

ومن الجوائز الَّتي فاز بها جائزة أفضل كتاب عربي 2002 عن كتابه (نظريَّة الرِّواية والرِّواية العربيَّة) وجائزة الإبداع الثَّقافي لدولة فلسطين عام 2004، وجائزة سلطان العويس للدِّراسات الأدبيَّة والنَّقديَّة عام 2011.

ومن الجدير بالذِّكر أن درَّاج "لم يباشر النَّقد مهنة تدريسيَّة في إطار مؤسَّسة جامعيَّة، بل تدرَّج إليه في سياق عمله الصَّحفي بالموازاة مع نضاله السِّياسي، في فترة بدا فيها الأدب، بوجوهه النَّضرة آنذاك، محفوظ وجيل السِّتِّينات، كنفاني وإميل حبيبي ومحمود درويش... وكأنَّه الرَّافعة الوحيدة لوعي الشَّعب وأمله، بعد هزائم

[1] - نقَّاد فلسطينيُّون في الشَّتات، 1998، ط 1 دار كوثا، دمشق ص 125.

أوقعتها هشاشة المتنطّعين للقيادة وتكالبهم على السُّلطة قبل أن يدبِّرها العدوُّ وأعوانه. فلم ينفصل النَّقد عنده مُذَّاك عن الحراك الاجتماعيِّ السَّاعي إلى التَّحرُّر على كلِّ الأصعدة. بل وظَّفه في مشروع نهضويٍّ، ساهم فيه مع نخبة مناضلين جمعوا إلى ثقافة عالميَّة رفيعة أخلاقيَّة صلدة لم يفتَّ في عضدها إغراء مال النَّفط ولا ثروات منهوبة كدَّسها الحكَّام بأمرهم إفسادًا للمثقَّفين"[1].

ثانيًا: إنتاجه العلمي

توزَّع إنتاج الدُّكتور فيصل درَّاج بين الفكر والنَّقد الأدبي على شكل كتب ودراسات ومقالات. فمن **الكتب الفكريَّة** صدر له الماركسيَّة والدِّين (1977)، وكتاب بؤس الثَّقافة في المؤسَّسة الفلسطينيَّة (1996)، وكتاب الأحزاب والجماعات الإسلاميَّة (2000)، وكتاب الحداثة المتقهقرة: طه حسين وأدونيس (2005)، وكتاب الذَّاكرة القوميَّة في الرِّواية العربيَّة من زمن النَّهضة إلى السُّقوط (2008)، وكتاب الهُويَّة، الثَّقافة، السِّياسة: قراءة في الحالة الفلسطينيَّة (2010)، وكتاب ما قبل الدَّولة، ما بعد الحداثة (2011).

ومن **الكتب الفكريَّة** الَّتي أصدرها بالاشتراك مع غيره من الباحثين: كتاب حرِّيَّة الثَّقافة العربيَّة: هجرة الكفاءات العربيَّة بالاشتراك مع أنطون المقدسي وآخرين (1993)، وكتاب بيت بين النَّهر والبحر: محاورات حول الفلسطينيِّين والعودة بالاشتراك مع نوري الجرَّاح وآخرين (2001)، وكتاب الأحزاب والحركات القوميَّة العربيَّة بالاشتراك مع بو علي ياسين ومحمد جمال باروت وآخرين (2003)، وكتاب غَزاليُّون وَرُشْديُّون: مناظرات في تجديد الخطاب الدِّيني بالاشتراك مع أحمد عبد المعطي حجازي وآخرين (2006)، وكتاب مشاعل عربيَّة على دروب التَّنوير بالاشتراك

[1] -بطرس الحلَّاق: فيصل درَّاج في الكشف عن نسغ الأدب، مقال منشور في صحيفة الحياة، 2012/1/18، عدد 17820.

مع محمد بدوي وآخرين (2009)، وكتاب يضمُّ دراسات وأبحاث ندوة الثَّقافة العربيَّة المستقبل والتَّحدِّيات بالاشتراك مع خالد الكركي وآخرين (2011)، وكتاب العقلانيَّة والنَّهضة في مشروع محمَّد عابد الجابري بالاشتراك مع أنطوان سيف وآخرين (2012)، كما ترجم كتاب التَّعقيد: عودة نقديَّة إلى الشُّيوعيَّة لكلود لوفور (2007).

ومن المقالات الفكريَّة الثَّقافيَّة الَّتي نشرها في غير مجلَّة عربيَّة مقالة: الماركسيَّة والاتِّحاد السُّوفييتي في مرآة الصُّهيونيَّة في مجلَّة شؤون فلسطينيَّة (1974)، وآخر في المجلَّة نفسها، بعنوان العجز أمام الحقيقة والهروب إلى الأمام: ملاحظات حول الصَّحافة العربيَّة في الخامس من حزيران (1975)، وثالثًا حول المقاومة الفلسطينيَّة في الصَّحافة الفرنسيَّة (1965-1975) عام 1975. ورابعًا بعنوان سقوط سياسة الابتزاز أو البحث عن تعايش سلميٍّ متكافئ (1975)، وخامسًا بعنوان الحزب الاشتراكي الفرنسي والقضيَّة الفلسطينيَّة نظرة تاريخيَّة (1975)، وفي مجلَّة الطَّريق عام 1979 نشر مقالة عنوانها الأدب والإيديولوجيا. كما نشر مقالة بعنوان شومسكي: الحرب والسَّلام في الشَّرق الأوسط في مجلَّة شؤون فلسطينيَّة (1977)، كما نشر مقالتين عن سميرة عزَّام الأولى في مجلَّة شؤون فلسطينيَّة (1981) عنوانها: البحث عن الإنسان والأخلاق والوطن، والثَّانية في الكرمل (2000) بعنوان سميرة عزَّام وقلق الإنسان والمضطهد، ونشر مقالة بعنوان صناعة الإرهاب في البيت الأبيض في مجلَّة الهدف (1990). كما اشترك مع عصام الخفَّاجي في كتابة ملفٍّ عنوانه الماركسيَّة من زوايا متعدِّدة نشره في مجلَّة الطَّريق (1995)، كما نشر ثلاثة مقالات عن إدوارد سعيد في مجلَّة الآداب (1994)، وفي الكرمل (2004)، وفي الثَّقافيَّة (2008)، ونشر مقالة بالاشتراك مع هادي نهر بعنوان العقلانيَّة والتَّنوير في مجلَّة النَّهج (1996)، وآخر في العام نفسه عن الأدب والسِّياسة والوطن في مجلَّة الطَّريق (1996). ونشر مقالة بعنوان في الهُويَّة الثَّقافيَّة الفلسطينيَّة في مجلَّة الكرمل (1997)، وأخرى بعنوان ما بعد الحداثة في عالم بلا حداثة في مجلَّة الكرمل (1997)، وفي عام 1998

نشر مجموعة من المقالات منها استبداد الدَّولة الرَّيعيَّة وإنتاج الإرهاب صدر في مجلَّة الآداب، وآخر بعنوان البحث عن فكر قوميٍّ جديد وإعادة الاعتبار إلى السِّياسة، صدر في مجلَّة الطَّريق، وثالثًا بعنوان الفكر العربي: الماضي، الحاضر، الآفاق، في مجلَّة العلوم الاجتماعيَّة، ورابعًا بعنوان نهاية المثقَّف بالاشتراك مع محمد جمال باروت وآخرون في مجلَّة الآداب.

كما نشر عن إسحق موسى الحسيني بعنوان الذَّات المجتهدة في فلسفة الاختصاص صدرت في مجلَّة الكرمل (1999)، وأخرى عن التَّطرُّف: أشكاله ومظاهره ودوافعه ومن ثمَّ بنيته في مجلَّة النَّهج (1999)، ومقالًا آخر في العام نفسه بعنوان فلسطين بين المعارضة والسُّلطة: درس في تساند الأنقاض، صدر في مجلَّة الآداب، وفي الكرمل كتب في الثَّقافة الفلسطينيَّة عن القصيدة الَّتي أرادت تحرير الوطن (1999)، وآخر عن قصف العراق صدر في مجلَّة الآداب (1999)، وعن هادي العلوي كتب مقالة بعنوان المثقَّف الَّذي تماهى مع أبي العلاء المعرِّي ، صدرت في مجلَّة الكرمل (1999).

كما كتب مقالتين في مهدي عامل، الأولى بعنوان السِّياسة والتَّاريخ عند مهدي عامل نشرها في مجلَّة الطَّريق (2000)، وثانية عن فاعليَّة العقل وغواية النَّظريَّة، نشرها في مجلَّة النَّهج في العام نفسه. وأنجز حوارًا مع ممدوح عدوان بعنوان الشِّعر، الطُّفولة والطِّفل الأبدي، نشره في الكرمل (2001)، وفي المجلَّة نفسها وفي العام نفسه كتب عن الشَّيخ التَّقليدي والمثقَّف الحديث. وأيضًا مقالًا ثالثًا عن المثقَّف الفلسطيني وقراءة الصُّهيونيَّة، كما نشر مقالة عنوانها الأنا والآخر في مستقبل الثَّقافة في مصر، صدر في مجلَّة النَّهج (2001)، واشترك مع محمد جمال باروت في ملفٍّ مشترك حول الدَّولة الدِّيمقراطيَّة العلمانيَّة في فلسطين التَّاريخيَّة صدر عام 2002 في مجلَّة الآداب. وملفًّا آخر بالاشتراك مع رضوان السَّيِّد عنوانه العقلانيَّة والتَّنوير في الفكر العربي المعاصر(2005)، وفي التَّنوير كذلك كتب في مجلَّة أوراق عام 2007 عن حكاية التَّقدُّم التَّنويري، وعن تحوُّلات المثقَّف العربي في القرن العشرين

في مجلَّة المستقبل العربي عام 2008، وعن الواقعيَّة وعودة انتصار الحقيقة في مجلَّة أوراق عام 2008.

كما نشر مقالة بعنوان الإيديولوجيا والاختلاف الإيديولوجي في مجلَّة مقابسات حضاريَّة عام 2010، ومقالة بعنوان الاختلاف في وجوهه الدِّينيَّة والحضاريَّة والإيديولوجيَّة بالاشتراك مع ناصيف نصَّار في مجلَّة المنتدى (2010)، وشارك في ملفٍّ الثَّقافة والهُويَّة في المجلَّة الثَّقافيَّة للجامعة الأردنيَّة (2010)، وفي ملفٍّ آخر عن اليسار العربي "الأزمة والاقتراحات" صدر في مجلَّة الآداب عام 2010، وفي عام 2011 كتب مقالة عنوانها عودة الرُّوح إلى مصر الخالدة في مجلَّة الآداب عام 2011، وفي العام نفسه كتب في دوريَّة نجيب محفوظ مقالة بعنوان "لماذا عاد أخناتون بعد أربعين عامًا؟"، وفي عام 2012 كتب عن أسئلة الثَّقافة والثَّورة في تونس ومصر، صدر في المجلَّة الثَّقافيَّة، وفي المجلَّة اشترك في ملفٍّ عن الثَّقافة: المعاش والتَّنظيم، الاجتماع، وفي مجلَّة دبيّ الثَّقافيَّة كتب عن المثقَّف العربي من النَّقد السِّياسيِّ إلى نقد ثقافيٍّ منقوص عام 2012، وفي العام نفسه والمجلَّة نفسها كتب مقالة بعنوان: هل يمكن الحديث عن الثَّقافة الشَّعبيَّة اليوم، ومقالة أخرى عن "هٰذا الحراك المفتوح على آفاق متعدِّدة" نشره في المجلَّة الثَّقافيَّة (2012)، وفي عام 2013 شارك في ملفٍّ عنوانه "العنف في مرايا مختلفة" نُشر في المجلَّة الثَّقافيَّة.

أمَّا إصداراته في **النَّقد الأدبي** فتمثَّلت في مجموعة من الكتب والمقالات، منها كتاب الواقع والمثال: مساهمة في علاقات الأدب والسِّياسة (1989)، وكتاب دلالات العلاقة الرِّوائيَّة (1992)، وكتاب القلق وتمجيد الحياة: كتاب تكريم جبرا إبراهيم جبرا بالاشتراك مع عبد الرَّحمٰن منيف وعبد الواحد لؤلؤة (1995)، وكتاب نظريَّة الرِّواية العربيَّة (1999)، وكتاب أفق التَّحوُّلات في الرِّواية العربيَّة بالاشتراك (1999)، وكتاب الرِّواية تأويل وتأويل التَّاريخ (2004)، وكتاب حصاد القرن: المنجزات العلميَّة والإنسانيَّة في القرن العشرين: الأدب والنَّقد والفنون بالاشتراك مع نهاد موسى

وآخرين (2008)، وكتاب عن عبد الرَّحمٰن منيف 2008 بالاشتراك مع محمود درويش وآخرين (2009)، وكتاب هٰكذا تكلَّم محمود درويش: دراسات في ذكرى رحيله بالاشتراك مع عبد الإله بلقزِّيز وآخرين (2009)، وكتاب رواية التَّقدُّم واغتراب المستقبل: تحوُّلات الرُّؤية في الرِّواية العربيَّة (2010).

ومن أبرز **مقالاته في الأدب والنَّقد الأدبي** مقال "الشَّعب: البطل في التَّاريخ بين أمّ سعد غسَّان كنفاني وعجوز أفنان القاسم في مجلَّة شؤون فلسطينيَّة"(1975)، ومقالة "نظريَّة الرِّواية عند لوكاش" في مجلَّة شؤون فلسطينيَّة (1978)، وفي المجلَّة نفسها نشر مقالًا بعنوان الرِّواية الفلسطينيَّة بين الوهم والواقع (1980)، ومقالة العلاقة الرِّوائيَّة في العلاقات الاجتماعيَّة، في مجلَّة الطَّريق (1981)، ومقالة الرِّواية الفلسطينيَّة وسطوة المجرَّد، في مجلَّة الفكر الدِّيمقراطي (1989)، وأخرى بعنوان جبرا إبراهيم جبرا في مجلَّة شؤون أدبيَّة (1995) بالاشتراك مع عبد الواحد لؤلؤة، ومقالة نشرها في مجلَّة فصول تحت ملفِّ خصوصيَّة الرِّواية العربيَّة بالاشتراك مع محمود أمين العالم (1997)، وأخرى عن خليل السَّكاكيني: المثقَّف الحديث وصعوبات البحث عن الارتقاء في مجلَّة الكرمل (1998)، ومقالة بعنوان الأفق الرِّوائي عند صنع الله إبراهيم في مجلَّة الآداب (1999). وأخرى عن سميح القاسم بعنوان الإبداع الشِّعري في الهُويَّة الوطنيَّة نشرها في مجلَّة الدِّراسات الفلسطينيَّة (1999). ومقالة بعنوان لوسيان غولدمان ورواية الرَّأسماليَّة المتغيِّرة في مجلَّة الكرمل (1999)، وحوار أجراه مع عبد الرَّحمٰن منيف بعنوان التَّاريخ ذاكرة إضافيَّة للإنسان في مجلَّة الكرمل (2000)، وأنجز ملفًّا في مجلَّة الرَّافد عام 2000 بالاشتراك مع آخرين عنوانه: الرِّواية العربيَّة بين التَّأصيل والتَّطوير، ومقالة بعنوان الأنا المغتربة ومعنى التَّاريخ "الاغتراب في الرِّواية العربيَّة"، نشرها في مجلَّة الآداب (2001)، كما نشر مقالة بعنوان "إحسان عبَّاس المعلِّم النَّموذجي" في مجلَّة الكرمل (2004)، وأخرى عن سعد الله ونُّوس المثقَّف الَّذي ولد أكثر من مرَّة، نشرها في مجلَّة الآداب (2004)،

وأخرى عن عبد الرَّحمٰن منيف ومساءلة التَّاريخ، صدرت في مجلَّة نزوى عام 2004، كما نشر مقالة بعنوان حداثة بودلير ومرايا المدينة الحديثة في مجلَّة الكرمل (2005)، وله مقالة بعنوان ثلاثة مداخل لقراءة محمود درويش في مجلَّة الكرمل (2009)، وأخرى بعنوان اضطهاد المرأة العربيَّة في أشكال مختلفة: قراءة في الرِّواية العربيَّة نشرها في مجلَّة إضافات (2010)، وله في مجلَّة المستقبل العربي دراسة بعنوان العار الفلسطينيُّ في رواية غسَّان كنفاني (2010)، كما اشترك مع آخرين في إعداد ملفٍّ حول الرِّواية العربيَّة نُشر في مجلَّة المستقبل العربي (2010)، كما أنجز ملفًّا آخر بالاشتراك مع آخرين حول غالب هلسة، نُشر في المجلَّة الثَّقافيَّة (2011)، وملفًّا آخر حول المسرح العربي نشر في مجلَّة المستقبل العربي (2011)، وملفًّا حول المناهج النَّقديَّة الحديثة صدر في المجلَّة الثَّقافيَّة (2011)، وملفًّا في المجلَّة نفسها بعنوان "الرِّواية ورؤية العالم"(2013).

ثالثًا: في نقد النَّقد

نشأ فيصل درَّاج نشأته العلميَّة الأولى في مجال الفلسفة قبل أن يخوض غمار النَّقد الأدبي ككثير من النُّقَّاد الَّذين عرفناهم، إذ تدرَّب في جامعة دمشق على يد مربِّين ضالعين في ميادينهم أنطون المقدسي، بديع الكسم، عبد الكريم اليافي...، قبل أن يرتقي معارج جامعة مونبلييه الفرنسيَّة حيث حصل على الدُّكتوراه.

ومع أنَّ أصول المعرفة الَّتي نهل منها درَّاج جعلته ماركسيَّ الفلسفة اجتماعيَّ النَّقد[1] إلَّا أنَّنا لا نجده يهتمُّ إن كان ما يقدِّمه من نقد يتوافق مع الماركسيَّة أم لا، بل يُغلِّب فهمه على أيَّة قواعد مسبقة، كما أنَّه أظهر حرصًا على تتبُّع تطوُّر الرِّواية العربيَّة في الأدب الحديث، ممَّا مكَّنه من أن يقرأ الرِّواية العربيَّة بوصفها حوارًا مع الثَّقافة العربيَّة في أجناسها المختلفة من جهة، وبوصفها شهادة على الواقع العربيِّ وتحوُّلاته

[1] - ماجدة حمُّود: نقَّاد فلسطينيُّون في الشتات، ص 127.

منذ بداية القرن العشرين، وهٰذا ما هيَّأ له الفرصة لكي يضع لنفسه منهجًا نقديًّا تنويريًّا في نقد الرِّواية العربيَّة، يعتمد فيه على البرهنة عن أفكاره تطبيقًا.

أمَّا بالنِّسبة إلى انتقاله من الفلسفة إلى النَّقد الأدبي، فهٰذا مرتبط بإشكاليَّة التَّوصيل، فقد وجد من خلال الممارسة أنَّ المهتمِّين بالاغتراب، بالمعنى الفلسفي، يمثِّلون قلَّة قليلة، ولهٰذا حمل اختصاصه وذهب به إلى مكان آخر له جمهور واسع، فمن خلال قراءة النُّصوص الأدبيَّة يشرح النَّاقد أفكاره، معتمدًا على نصوص اختارها من دون أن يضع أمام القارئ مصطلحات صعبة ومعقَّدة لم يتعلَّمها، ولا سبيل إلى تعلُّمها في أحيان كثيرة.[1]

محدِّدات النَّاقد

يفترض درَّاج أنَّ على النَّاقد أن يستولد من داخل النَّصِّ معاييره الجماليَّة وهو أسهل من الإتيان بمعايير جاهزة يلوي عنق النَّصِّ ليلائمها، والأهمُّ ليس قراءة النَّظريَّات والمناهج النَّقديَّة، وإنَّما قراءة مادَّة وافية حول النَّصِّ وملابسات كتابته للوقوف على تفاصيل العمليَّة الفنِّيَّة الَّتي دفعت الكاتب لكتابة نصِّه واختراع شخصيَّاته. النَّاقد الأدبي ليس هو من يقرأ نصًّا ويكتب تعليقًا عنه، بل ينبغي أن يكون قد قرأ السِّلسلة الرِّوائيَّة العربيَّة كاملة منذ "زينب" وأن يكون قد اطَّلع على مسار الثَّقافة العربيَّة منذ تشكُّل الرِّواية والنَّقد منذ بداية القرن الماضي إلى اليوم. أمَّا النَّظريَّة الأوروبيَّة فما هي إلَّا مجَّرد إضاءة، والجسم الحقيقي هو معرفة التَّاريخ الإبداعيِّ العربيِّ والثَّقافة العربيَّة، وبدون معرفتها لا يمكن أن ننتج نقدًا حتَّى لو تسلَّحنا بجميع النَّظريَّات النَّقديَّة الأوروبيَّة[2].

1 - هشام عودة: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، ميدل إيست أون لاين، 2012/2/24.

2 - ميادة الدِّمرداش: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، صحيفة المصري اليوم، 2010/11/17.

مشروعه النَّقدي

وبناء على ما سبق فإن درَّاج يسعى إلى قراءة مواقع الإبداع في الثَّقافة العربيَّة المعاصرة، رافضًا الإقامة تحت مظلَّة نظريَّات نقديَّة غربيَّة جاهزة، معترفًا بأنَّه يعمل في إطار مشروع النَّقد المركَّب الَّذي يتطلَّب معرفة واسعة في كثير من حقول المعرفة [(1)]. إنَّ مشروع درَّاج النَّقدي يتركَّز في قراءة مواقع الإبداع في الثَّقافة العربيَّة المعاصرة، وفي تمييز بعض المفاهيم الجماليَّة الغربيَّة المنشأ، من خلال تطبيقها على النُّصوص العربيَّة، لأنَّ التَّطبيق يفضي، بالضَّرورة، إلى تغيير هٰذه المفاهيم، فيحذف ما لا يلائمه، ويضيف إليها ما يعتقد بأنَّه قائم بالضَّرورة في قضايا الثَّقافة العربيَّة [(2)].

مفهوم النَّقد:

لا يؤمن درَّاج بما يدعى بالنَّقد الأدبي الخالص، لأنَّ النَّقد لن يكون مجديًا، إلَّا إذا تقاطعت فيه أبعاد ثقافيَّة مختلفة، مثل علم النَّفس ونظريَّة الإيديولوجيا ومعطيات علم الاجتماع والنَّظر الفلسفي إلى العالم، إضافة إلى ما يفصح عنه النَّصُّ من مواقف سياسيَّة وإيديولوجيَّة لها علاقة بالتَّاريخ المعيش. أي أنَّ النَّقد الأدبيَّ، الَّذي يقرأ النُّصوص من داخلها فقط، يكون بالضَّرورة نقدًا فقيرًا ومضلِّلًا، فهو لا يربط النُّصوص بعالمها الخارجيِّ، أي بالمجتمع وقضاياه والتَّاريخ، وينسى ذٰلك الحوار الَّذي لا بدَّ منه بين الكتابات المبدعة وما يعيشه البشر. والنَّقد عنده كشف عن رؤية فرد بعينه ملتزم، على طريقته الخاصَّة، بقضايا مجتمعه من دون أن تستنفده هٰذه القضايا عن وجوده الشَّخصي. وأنّى للأدب أن يكون أدبًا إن هو اقتصر على كونه "لسان القبيلة"؟ الأدب الحقيقيُّ يغني عالم "القبيلة" بمدد فرديٍّ متميِّز، به يحقِّق

[1] - هشام عودة: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، جريدة الزَّمان، 2012/8/8، العدد4272.

[2] - هشام عودة: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، ميدل إيست أون لاين، 2012/2/24.

الأديب وجوده فيما هو يساهم في تكوين الجماعة، والنَّقد الحقيقيُّ هو ما يكشف عن هٰذا المدد.

والنَّقد عنده انخراط في مؤسَّسة فكريَّة لا تستقيم إلَّا إذا استقلَّت عن الأشخاص فانتصبت صرحًا قائمًا بذاته. إنَّه التُّراث الحيُّ بالمعنى الأعمق يقوم بتراكم ديناميٍّ عضويٍّ للفكر الحيِّ وللرُّؤية المتجدِّدة تجدُّد الحياة، ويمدُّ الأجيال بشحنة حيويَّة تساعدهم على فهم عالمهم وعلى تقرير مصيرهم فيه، بعيدًا عن التُّراث الجامد الميِّت الَّذي لا يزال يسيطر على الأذهان [1].

صِلات النَّقد

لا يؤمن درَّاج بوجود نقد أدبيٍّ بذاته، وإذا وجد فهو فقير ومدرسيٌّ عقيم، لأنَّ النَّقد لا بدَّ أن يتضمَّن معارف من حقول مجاورة، مثل علم النَّفس والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم اللُّغة، وعدم انفتاح النَّقد الأدبيِّ إلى غيره من الدِّراسات يفقره بشكل مريع، فكما يعرف الدَّارسون فإنَّ المنظِّرين الكبار لنظريَّة الرِّواية جاءوا من الفلسفة وعلم النَّفس واللُّغة والاجتماع وبالتَّأكيد من تاريخ الأدب.

إلَّا أنَّ الرِّواية لا تزال هامشيَّة على مستوى القراءة ولا تزال جنسًا أدبيًّا مغتربًا، تقرأه فئة قليلة معتقدة أنَّ الرِّواية للتَّسلية، لٰكنَّها في الواقع جنس أدبيٌّ ينتج معرفة حقيقيَّة، وحتَّى تصبح الرِّواية جزءًا من الثَّقافة يجب أن تكون جزءًا مهمًّا في العمليَّة التَّعليميَّة، وأن تحظى باعتراف عامٍّ من فئات المجتمع المختلفة، وأن يكون هناك فضول معرفيٌّ وتعليميٌّ تجاهها، كما يجب أن يعترف بها ثقافيًّا ليس من خلال مجموعة محدودة من القرَّاء، وإنَّما من خلال جميع المؤسَّسات الثَّقافيَّة [2].

---

[1] - بطرس الحلَّاق: فيصل درَّاج في الكشف عن نسغ الأدب، مقال منشور في صحيفة الحياة، 2012/1/18، عدد 17820.

[2] - ياسمين الضَّامن: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، صحيفة أخبار الأردنيَّة، 2012/2/14.

أزمة نقد الأدب العربي

يقلِّل فيصل درَّاج من قيمة أيِّ نقد أدبيٍّ لا يرتبط بمنظور شخصيٍّ، ويلخِّص المشكلة الأساس في النَّقد العربيِّ في أنَّه نقد لا يعتدُّ بالتَّراكم، ويدمن أسماءً غربية بعينها، ويتجاهل روَّادًا عربًا آخرين أثَّروا بمقادير مختلفة في مسار النَّقد. فلا أحد يشير إلى طٰه حسين ولا إلى إنسان كان له مشروعه النَّقدي مثل محمَّد مندور، لا أحد يتعامل بجدِّيَّة مع لويس عوض لا أحد يتوقَّف أمام ناقد رهيف مثل يحيى حقِّي. ويرى أنَّنا نتعامل مع تراثنا النَّقدي بنوعٍ من الاستصغار الَّذي لا يجوز، وأنَّنا نحتفي بكلِّ ما هو وافد ونهمِّش بل نستصغر ما هو قادم من التُّراث [1].

الرِّواية العربيَّة:

ومن منطلق رؤيته البانوراميَّة لمشهد الرِّواية العربيَّة لا يتردَّد فيصل درَّاج في الحكم على الرِّواية العربيَّة اليوم بأنَّها تتورَّط في الإعلان أكثر ممَّا تتلمَّس طريق الإبداع، ولم تصل إلى مستوى الإبداع العربيِّ الَّذي شهدته روايات السِّتِّينات من القرن الماضي، فلم نجد من يتجاوز نجيب محفوظ، ومن الصَّعب أن نجد تجريبًا جريئًا أو مشروعًا روائيًّا واسعًا يشبه عبد الرَّحمٰن منيف أو صَنع الله إبراهيم أو إميل حبيبي، ويقرُّ درَّاج بأنَّ هناك اتِّساعًا، ولٰكنَّه كمِّيٌّ يعجز عن إنتاج ظواهر.

ويبرِّر درَّاج انحيازه للرِّواية بوصفها جنسًا كتابيًّا متنوِّع المعرفة، فيها صنوف من علم الاجتماع والتَّاريخ والفلسفة واللُّغة، إنَّها ذٰلك المتسوِّل النَّجيب الَّذي يمدُّ يده إلى جميع أنواع المعرفة ويعطيها صياغة مبدعة ولعلَّ هٰذه الصِّياغة المبدعة هي الَّتي تمدُّ الجنس الرِّوائيَّ بمرونته، فيقبل بأكثر من قراءة وتأويل، وتأتي جماليَّة الرِّواية من تعدُّدية عناصرها بشكل يفضي إلى اللَّا يقين، أي يترك عقل الإنسان طليقًا على

[1] - رشا حسني: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، صحيفة البديل المصريَّة، 2010/11/1.

خلاف الأيديولوجيّات المغلقة، إنّها مجال سياسيٌّ تفوّقت على الشّعر والمسرح، خاصّة في عرضها لقضايا المضطهدين وتوظيفها للأقنعة.

ينطلق درّاج في تفسيره لنشأة الرّواية العربيّة من منطلق سوسيوثقافي، فاعل في رصد التّحوُّلات الّتي أسهمت في هٰذه النّشأة، وعلى رأسها مواجهة مؤسَّسة القمع بأشكالها المتعدّدة بخطاب روائيٍّ نهضويٍّ تنويريٍّ منبثق من مقولات الحرّيّة والعقل والتّحديث، متخطِّيًا سلطة البلاغة والمؤسَّساتيّة من باب الانتصار لصوت العقلانيّة والحرّيّة والتّقدُّم والمساواة، فيعود للذّات الفرديّة الحرّة دورها الرّيادي في زمن الواقع، وتسقط جميع السُّلطات والمراتب. كما يجد في رأي باختين عن حواريّة المعارف المتعدِّدة حقيقة مفسِّرة لنشأة الرّواية، فهي "تأخذ بما قال به علم التّاريخ وتهضم الوثيقة التّاريخيّة، وتتّكئ على معطيات علم النّفس وتنعت ذاتها رواية نفسيّة، وتستند إلى معطيات علم الاجتماع وتعيد صياغتها، وتدرج في سطورها الأطروحات الفلسفيّة وتعيد تركيبها إضافة إلى الأسطورة وقصص الأديان.."[1].

ومن هٰذا المنطلق يحكم على الرّواية العربيّة في مراحلها المختلفة بأنّها لم تلتق بهٰذا الزّمن الاجتماعي المحتفي بحواريّة المعارف المتعدِّدة، لذٰلك كان وجودها هامشيًّا، حيث نتجت في حقل ثقافيٍّ تلقينيٍّ خاضع إلى سلطة النّصِّ الدِّيني وإلى سلطة البلاغة الّتي تحاول الفصل بحكم قيميٍّ بين ما هو دنيء وما هو نبيل، وتوجيه فعل الكتابة إلى ما يجب أن يكون لا إلى ما هو كائن. وهٰذه النّظرة قد تنفي صفة الرّوائيّة عن الكثير من النُّصوص.

ويعود إلى السّياق العامّ الثّقافيِّ والاجتماعيِّ الّذي ولدت فيه الرّواية، فيجد أنّها اتّصلت أساسًا بالتّنوير العربيّ، بل وبشّرت به وهٰذا ما جعلها متفوّقة، يقول في هٰذا

[1] - غزلان هاشمي: الإطار المرجعي لتفسير ظهور الرّواية العربيّة عند فيصل درّاج، موقع ديوان العرب، كانون أوّل 2012. http://diwanalarab.com/spip.php?article35187

الصَّدد: "لم تنحرف الرِّواية العربيَّة الوليدة عن النَّصِّ التَّنويري العام الَّذي تنتمي إليه. فقد سلكت سبله وأخذت بما يؤخذ، فاتَّخذت من ذاتها قناعًا مرسلة بوجهها الحقيقيِّ إلى مكان آخر، حدوده الحرِّيَّة والاستبداد". إنَّ الرِّواية العربيَّة بحسب هٰذا المنظور جاءت مبشِّرة بقيم الحرِّيَّة، منشغلة ببعدها الإصلاحي أي "رواية تنوير". ويشترط درَّاج لظهور الرِّواية إشاعة جوٍّ ديمقراطيٍّ يسوده الحوار والتَّبادل الحرُّ، وتتراجع فيه كل أشكال التَّلقين والاستظهار لتفسح المجال للتَّعدُّد والاختلاف، ونظرًا لغياب أو تغييب المجتمع الدِّيمقراطيِّ والدَّولة أو السُّلطة الدِّيمقراطيَّة يجد النَّاقد أنَّه لا وجود للرِّواية العربيَّة، "بسبب أحاديَّة وعقم الحقل الثَّقافيِّ والمعرفيِّ الَّذي تتحرك فيه"[1].

والملاحظ في كتابات درَّاج أنَّه بقدر سعيه لإسقاط الظَّواهر الإبداعيَّة في سياقها، من خلال معالجة ظهورها بالنَّظر إلى المنظور السُّوسيوثقافي إلَّا أنَّه لم يستطع التَّحرُّر من المرجعيَّة الغربيَّة، إذ إنَّ الحكم بوجوب تبنِّي النَّموذج الغربيِّ والخضوع لنفس شروطه التَّاريخيَّة حتَّى تكون للرِّواية العربيَّة مكانة هو حكم مطلق واعتقاد جازم بصلاحيَّة هٰذا النَّموذج، على اعتبار أنَّ لكلِّ مجتمع نموذجه ومعاييره وتحوُّلاته، والقول بخلاف ذٰلك فيه قضاء على صفة التَّعدُّد والحرِّيَّة والخصوصيَّة [2].

الرِّواية الفلسطينيَّة

يعتقد درَّاج بأنَّ الرِّواية الفلسطينيَّة انشغلت باستشراف المستقبل ورسم آليَّات التَّعامل الأمثل معه أكثر من تركيزها على الماضي، وهي بذٰلك مرَّت بثلاثة أطوار: الأوَّل

---

[1] -غزلان هاشمي: الإطار المرجعي لتفسير ظهور الرِّواية العربيَّة عند فيصل درَّاج، موقع ديوان العرب، كانون أوَّل 2012، http://diwanalarab.com/spip.php?article35187

[2] -غزلان هاشمي: الإطار المرجعي لتفسير ظهور الرِّواية العربيَّة عند فيصل درَّاج، موقع ديوان العرب، كانون أوَّل 2012، http://diwanalarab.com/spip.php?article35187

عبَّرت عنه أعمال الرِّوائي الكبير جبرا إبراهيم جبرا المليئة بالأمل والانتصار، وغنائيَّة الأحلام، أي بما يجب أن يكون، ثمَّ جاءت أعمال غسَّان كنفاني ممثِّلة للطَّور الثَّاني ورصدت الفجيعة والعار الماضيَيْن ونادت بضرورة الانتقام للشَّرف الفلسطيني في الحاضر، وقد حاول المزج بين الدَّعوة للكفاح والتَّعبير بعمق عن المأساة الفلسطينيَّة، وربَّما يكون إميل حبيبي هو الوحيد الَّذي قدَّم رؤية تاريخيَّة للقضيَّة الفلسطينيَّة في روايته «المتشائل» وقسم التَّاريخ لشقَّين ماضٍ جميل ومنتهٍ ولن يعود أبدًا، ومستقبليٍّ هو مجرَّد احتمال[1].

الكتابة النِّسويَّة

أمَّا عن موقفه من هٰذا المصطلح فلا يميل درَّاج إلى هٰذا التَّعبير، لأنَّ العمل الأدبيَّ لديه يقاس بالجودة أو الرَّداءة، أمَّا الأنوثة والذُّكورة فليست معيارًا على الإطلاق[2]، من ثمَّ لا يميل درَّاج إلى فكرة القمع الذُّكوري والمجتمع الذُّكوري لأنَّنا نعيش في مجتمع قمعيٍّ يوزِّع القمع على الذُّكور والإناث معًا وإذا كان هناك قمع ذكوريٌّ، فهو لا يعود على الذَّكر من حيث هو ذكر، بل إلى تخلُّف المجتمع وفقره.

رابعًا: عرض لأحد أعماله: (الحداثة المتقهقرة: طٰه حسين وأدونيس)

صدر كتاب فيصل درَّاج "الحداثة المتقهقرة" عام 2005 عن المؤسَّسة الفلسطينيَّة لدراسة الدِّيمقراطية، رام الله، وفيه يظهر جهدًا كبيرًا على إنجاز حوار عربيٍّ ثقافيٍّ ذي صبغة حداثيَّة من خلال استنهاض علَمين: طٰه حسين الَّذي ما زال على رغم الظَّلام يعثر على قرَّاء وتلاميذ، وأدونيس المتمرِّد بأسئلته، والهدف من هٰذا الحوار إيجاد سبل قد تفضي إلى الحقيقة.

---

[1] -ميَّادة الدِّمرداش: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، صحيفة المصري اليوم، 2010/11/17.

[2] -حسناء الجريسي: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج: الأهرام الرَّقمي (تاريخ الزِّيارة 2014/3/22): http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=180918&eid=215

وجاء الكتاب موزَّعًا على مقدِّمة وأربعة فصول وخلاصة، استهلَّ المقدِّمة بحديث عن التَّنوير والعقلانيَّة، والفصل الأوَّل عن إشكال طٰه حسين والفرق بين الشَّيخ التَّقليديّ والمثقَّف الحديث، والفصل الثَّاني عن حداثة طٰه حسين، والثَّالث عن الحداثة العربيَّة بين زمنين، والرَّابع عن إشكال أدونيس ثمَّ خلاصة تبعها بإضاءة عن التَّطرُّف ونهاية الحداثة.

أمَّا إشكاليَّة طرح حسين فتكمن في تمرُّده على التَّقاليد المستقرّة الَّتي سبَّبت البؤس وبحثه عن نور جديد هو بمثابة شرعيَّة جديدة يجابه به شرعيَّة مستقرَّة، ولتحقيق ذٰلك لا بدَّ من محاكاة النَّموذج الأوروبّي وإعلاء قيمة الحرّيَّة، والفصل بين السُّلطات على مستوى الدَّولة، والفصل بين العلاقات الاجتماعيَّة والانتماء المذهبيّ على مستوى المجتمع [1]. ومثل هٰذا الفصل يمكّننا من اعتماد سياسات علميَّة وثقافيَّة وتربويَّة متحرّرة يعزّز مبدأ الانسجام في المجتمع سياسيًّا واجتماعيًّا. في ظلّ التَّساوي بين البشر على اختلاف عقائدهم.

وجدير بالذّكر أنَّ علمانيَّة طٰه حسين كما رآها درَّاج ترتبط بالحرّيَّة والتَّقدُّم قبل أن ترتبط بصعود العلم وتقدُّم الصّناعة، لقد عبَّر طٰه حسين عن مشروعه الثَّقافي مقدّما ثلاثة وجوه؛ اجتماعي ينحو نحو التَّطوُّر والاكتمال بحرّيَّة الفكر وتاريخيَّته، ومعالجة التُّراث بالفصل بين قراءة مستظهرة وقراءة فاعلة، والحداثة الاجتماعيَّة. وقد تركَّز هٰذا المشروع في مؤلَّفات عدَّة له كالأدب الجاهليّ، والدّراسات الإسلاميَّة، ومستقبل الثَّقافة في مصر وهو أفضل كتبه تعبيرًا عن مشروعه وقدَّم فيه إشكاليَّات وأسئلة تقوم على كيف تنشئ السُّلطة التَّقليديَّة مدرسة حديثة غاياتها تنقض التَّقليدي في السُّلطة والمجتمع. كما أعلى من شأن النَّقد الاجتماعيّ مراهنًا على الإرادة.

---

[1] - الحداثة المتقهقرة ص 61.

ويقترح طٰه حسين علانيَّة النَّموذج الفرنسي، حيث الدَّولة القوميَّة أنتجت ثقافة قوميَّة، وحيث الأمَّة تعبير عن وحدة سياسيَّة وثقافيَّة في آنٍ، فوفقًا للتُّراث الفرنسيِّ، فإنَّ الدَّولة هي الَّتي خلقت الأمَّة، وخلقت فرنسا نفسها، منذ الملوك إلى الثَّورة والجمهوريَّات المتعاقبة[1].

وفي انتقاله إلى أدونيس يرى درَّاج في مشروع أدونيس الثَّقافي تنديدًا واضحًا بالواقع العربي وثقافته المسيطرة[2]، وينطلق ثقافيًّا لنقد هٰذا الواقع، فالثَّقافة نقد أساس لكلِّ نقد محتمل، ومن هٰذا المنطلق لا يرى أدونيس مبرِّرًا لاتِّصال حاضر الأمَّة بماضيها إلَّا في حالات استثنائيَّة حتَّى لا ينتفي الإبداع، مع ضرورة التَّواصل بثقافة أخرى تُعلي من شأن الإبداع متحرِّرة من قيود الاتِّباع شرط أن تتحقَّق شروط العلاقة التَّبادُليَّة بين الكلمة والفعل بعد المماهاة بين فعلي الخلق والإبداع. كما يمثِّل أدونيس منظرًا مهمًّا على صعيد إشاعة مصطلح الحداثة في فصله الثَّالث من كتابه "الثَّابت والمتحوِّل" الَّذي جاء بعنوان "صدمة الحداثة" والصَّدمة تتأتَّى من أنَّها حداثة معوَّقة تمثِّل صدمة خارجيَّة قسريَّة تستدعي الإقبال والإدبار في آنٍ، ممَّا جعل التَّعامل معها مشتَّتًا بين جهود فرديَّة وأخرى مشتَّتة.

من الجدير بالذِّكر، أنَّ مفهوم الحداثة لدى أدونيس تأتَّى من ممارسته الشِّعريَّة فقد بدأ شاعرًا متمرِّدًا ومثقَّفًا ذا دراية عميقة بالموروث الشِّعريِّ العربيِّ. وبهٰذا المعنى يكون أدونيس قد أنجز فكرتين أساسيَّتين، تقول الأولى منهما يجب تحرير الفكر العربيِّ من التَّقليد، وتقول ثانيهما إنَّ سطوة التَّقليد لا تقاوم ولا سبيل إلى كسرها[3].

---

[1] - الحداثة المتقهقرة ص 80.

[2] - الحداثة المتقهقرة ص 151.

[3] - الحداثة المتقهقرة ص 157.

بين طٰه حسين وأدونيس

ما يجمع بين طٰه حسين وأدونيس ذٰلك التَّمرُّد على المستقرِّ من العادات والأفكار الَّتي تقدَّست دون وجه حقٍّ، فحسين ينطلق من تاريخيَّته ونقده الأدبيِّ وعمله السِّياسيِّ في الثَّقافة وتجربته الأزهريَّة والفرنسيَّة المصرَّة على الإصلاح، وأدونيس متمرِّد على السِّياسة والإيديولوجيا منغلق على إشكاليَّة تراثيَّة تعتمد على فكرة مقاومة التُّراث بالتُّراث[1].

ينظر طٰه حسين إلى المستقبل مؤمنًا بالزَّمن العالميِّ متحرِّرًا من التُّراث، وينظر أدونيس إلى زمن الأصل القديم مكتفيًا بزمن الإبداع الَّذي لا يشيخ، أو بزمن الإبداع الَّذي لا زمن له. فمشروع طٰه حسين جماعيٌّ، سياسيٌّ واجتماعيٌّ، ومشروع أدونيس خاصٌّ بالأفراد المبدعين الَّذين يقفون فوق الأمَّة ويسبقونها، ويطلبون منها أن تقتفي آثارهم للوصول إلى ديار الإبداع، مؤكِّدين بلا توقُّف أنَّ الأمَّة كلَّها معادية للإبداع، وأنَّ سيطرة الاتِّباع الكاسحة تجعل من الإبداع شيئًا لا يرى ما الَّذي تبقَّى من حداثة طٰه حسين اليوم؟ يتبقَّى منه ربَّما مشروعه كلُّه ويأسه الصَّريح، لأنَّ هٰذا المشروع لم يتحقَّق في الماضي ولا يبدو قابلًا للتَّحقُّق اليوم.

يمكن القول إنَّ طٰه حسين ترك منهجًا في العمل الثَّقافي يتلخَّص في الاقتراب العقلانيِّ الشُّجاع من الأسئلة الممنوعة الَّتي تعيد اكتشاف التَّاريخ العربيَّ– الإسلاميَّ بعيدًا عن الأسطرة والبلاغة والتَّمجيد الذَّاتي الفارغ[2]، وربط السِّياسة بالارتقاء الاجتماعيِّ الكلِّيِّ لا بالأحزاب السِّياسيَّة الَّتي تعطِّل أحيانًا الفكر السِّياسيَّ وتلغي السِّياسة، والتَّحرُّر من الغيبيَّات والتَّربية التَّقليديَّة.

---

[1] - ن.م.، ص 229.

[2] - إبراهيم غرايبة، عرض لكتاب الحداثة المتقهقرة، الجزيرة نت (تاريخ الزِّيارة 2014/3/29) http://www.aljazeera.net/books/pages/ecbd566b-8544-4242-a99b-193c507d7d54.

خامسًا: مراجع كتبت عنه

- إبراهيم غرايبة، عرض لكتاب الحداثة المتقهقرة، الجزيرة نت (تاريخ الزّيارة 2014/3/29) http://www.aljazeera.net/books/pages/ecbd566b-8544-4242-a99b-193c507d7d54
- أُبَيّ حسن: مقابلة مع الدُّكتور فيصل درَّاج، جريدة السَّفير اللُّبنانيَّة، 2009/11/23.
- أيُّوب أبو ديَّة: موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، 2008، بدعم من وزارة الثَّقافة، عمَّان.
- بطرس الحلَّاق: فيصل درَّاج في الكشف عن نسغ الأدب، مقال منشور في صحيفة الحياة، 2012/1/18، عدد 17820.
- حسام الخطيب: النَّقد الأدبيُّ في الوطن الفلسطينيِّ والشَّتات، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، ط1، 1996.
- حسناء الجريسي: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج: الأهرام الرَّقمي (تاريخ الزِّيارة 2014/3/22): http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=180918&eid=215
- حسين حمُّودة: فيصل درَّاج.. الرَّائي المغترب، أخبار الأدب، 2011/10/15.
- خالد الحروب: الرِّواية العربيَّة بين الإبداع وكسر التَّابوهات، جريدة الدُّستور الأردنيَّة، 2014/2/9.
- داليا فاروق: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، جريدة الوطن العُمانيَّة، تاريخ الزِّيارة 2014/4/1

http://www.alwatan.com/graphics/2005/08aug/21.8/dailyhtml/culture.html#5

- رشا حسني: حوار مع الدُّكتور فيصل درّاج، صحيفة البديل المصريّة، http://elbadil.com/2010/11/01/11703.2010/11/1 /

- عبد الفتّاح داغر: هل الحداثة متقهقرة فعلًا؟، مجلّة بلسم، العدد 438، كانون أوّل 2011.

- عمر كوش: مقابلة مع الدُّكتور فيصل درّاج، موقع عرب 48، تاريخ الزّيارة http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=263982014/3/23

- غزلان هاشمي: الإطار المرجعي لتفسير ظهور الرِّواية العربيّة عند فيصل درّاج، موقع ديوان العرب، كانون أوّل 2012، http://diwanalarab.com/spip.php?article35187

- كامل شيّاع: قراءة في كتاب فيصل درّاج "نظريّة الرِّواية والرِّواية العربيّة" أسئلة الهُويّة ومعوّقات الحداثة المبتورة، جريدة الحياة، 2000/9/25، العدد 452.

- ماجدة حمّود: النَّقد الأدبيُّ الفلسطينيُّ في الشَّتات، مؤسَّسة عيبال للدِّراسات والنَّشر، قبرص، ط1، 1992.

- محمّد الحمراني: حين تتقهقر الحداثة بين طٰه حسين وأدونيس، مقال منشور في الملحق الثَّقافي لجريدة الثَّورة السُّوريّة بتاريخ 2006/12/12.

- محمّد شاهين: فيصل درّاج وتجديد التَّنظير الرِّوائي عربيًّا، جريدة الحياة، 2004/2/25، العدد 14943

- مقال: د. فيصل درَّاج ود. شيرين أبو النَّجا.. الرِّواية تكتب صبيَّها الواعد، مجلَّة العربي / الكويت، العدد 622، أيلول 2009.
- ميَّادة الدِّمرداش: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، صحيفة المصري اليوم، http://www.almasryalyoum.com/news/details/95857.2010/11/17
- هشام عودة: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، جريدة الزَّمان، 2012/8/8، العدد4272.
- هشام عودة: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، ميدل إيست أون لاين، 2012/2/24. http://www.middle-east-online.com/?id=126401
- هيثم حسين: قراءة في كتاب الرِّواية وتأويل التَّاريخ، جريدة البيان الإماراتيَّة، بيان الكتب، 2013/3/8.
- ياسمين الضَّامن: حوار مع الدُّكتور فيصل درَّاج، صحيفة أخبار الأردنيَّة، 2012/2/14

http://ujnews2.ju.edu.jo/Lists/Faces/Disp_FormNews1.aspx?ID=7